تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية

د. إلمير رفائيل كوليف (*)

ملخص البحث

قام الباحث بدراسة موجزة لتاريخ تطور ترجمات معاني القرآن الكريم في روسيا وتتبعها، كما قام بتقويم الوضع الحالي لهذه الترجمات. وقد ميّز الاستشراق الروسي المعاصر مدرستان، وهما في سانت بطرسبورغ وموسكو، وأشار الباحث إلى الدور التاريخي لمدرسة مدينة قازان التي كانت تعتني بقضايا الدين الإسلامي، النظرية منها والتطبيقية؛ اعتناءً خاصاً.

ورغم أن معظم الدراسات في علوم القرآن الكريم في روسيا حالياً متأثرة إلى حدّ بعيد بتقاليد مدرسة الاستشراق، فإن النشاط الدعوي التعليمي للعلماء المسلمين يجبر المستشرقين على الاهتمام أكثر بكتب الحديث والتاريخ، والامتناع ـــ ولو أحياناً ـــ عن التأويلات الفاسدة لنصوص القرآن الكريم.

وعند ذكر ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية بيّن الباحث أهم نقائص الترجمات الشائعة ومميزاتها، كترجمات الأكاديمي كراتشكوفسكي، والأستاذ عثمانوف، والجنرال بوغوسلافسكي، وفاليريا بوروخوفا، وغيرهم.

(*) مدير قسم جيو ثقافة بمعهد الدراسات الاستراتيجية للقوقاز – جمهورية أذربيجان.

تمهيد

إن دراسة تاريخ تطور علوم القرآن في روسيا تفتح أمام الباحثين المسلمين آفاقاً واسعة لتطوير هذا المجال من العلم، وفَهْم مراحل العلاقات بين الدولة الروسية والعالم الإسلامي. وتقدم العلم يحدَّد عادة بعدة أفكار أساسية مقدمة من طرف الأشخاص والمدارس. وإن عدم معرفة أسباب تطور تلك الأفكار، والاهتمام بالعلم منعزلاً عن تاريخه، يضعف قوة الإبداع عند الباحث ويجعل الربط بين العلوم صعباً. وعلى العكس فإن معرفة التاريخ تمكن من استخراج الدروس والعبر من الماضي وتخطيط العمل في المستقبل.

ورغم أهمية هذه المسألة فإن الكتب والرسائل في دراسة تاريخ علوم القرآن في روسيا قليلة، وما كتب في هذا الموضوع قبل بداية القرن العشرين الميلادي أصبح قديماً لا يَفي متطلبات العصر. ومن المصنفات المتأخرة رسالة: «ترجمات القرآن إلى اللغة الروسية في مخطوطات القرن الثامن عشر» (مختارات من المؤلفات، موسكو، ١٩٥٥م) لأغناطيوس كراتشكوفسكي، ورسالتا: «القرآن في روسيا: دراسة وترجمات وطبعات» (في كتاب الإسلام: دين ومجتمع ودولة، موسكو، ١٩٨٤م)، و«تاريخ الكتاب العظيم في روسيا» (في الجريدة الأدبية «ليتيراتورنايا قازيطا دوسيه»، العدد ٧، ١٩٩١م) لبيوتر جريزنيفيتش. وألقى نيقولاي كراسنينوف في يوم ١٤ أبريل (نيسان) عام ٢٠٠٤م محاضرة في موضوع «عرض موجز لترجمات القرآن إلى اللغة الروسية»، ولم تطبع هذه المحاضرة القيمة بعد. وقد تعرض يفيم ريزفان لتاريخ ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية ودراسة علومه في روسيا في الباب المستقل من كتابه «القرآن وعالمه» (ص ٣٨٣-٤٥٥). ومحتويات هذا الباب مأخوذة من مقالته «القرآن في روسيا» المطبوعة في موسوعة «الإسلام في أراضي الإمبراطورية الروسية السابقة».

وفي هذا البحث نحاول أن نلقي الضوء على أهم نقاط تاريخ علوم القرآن في روسيا، المشار إليها في الكتب المذكورة أعلاه، ونُقَوِّم الوضع الحالي لهذا العلم، ونحدد مدى تأثير الباحثين المسلمين في تقدم الدراسات القرآنية في تلك البلاد.

دخول الإسلام إلى روسيا

ومن المعلوم أن القبائل الروسية تعرّفت على الإسلام لأول مرة عن طريق العلاقات التجارية والدبلوماسية بالبلغار على نهر الفولغا، وخُوارزم، وباب الأبواب (دربند)، وما وراء النهر. وللإسلام في روسيا الحالية جذور عميقة؛ فقد دخل إلى تلك الأراضي قبل النصرانية، فلم تعرف القبائل الروسية النصرانيةَ قبل القرن العاشر الميلادي، عندما أرسل الأمير فلاديمير رسله إلى الأمصار مستفسراً عن الأديان؛ ليتخذ أحدها ديناً لدولته. وفي سنة (٩٢٢م) اعتَنَق البلغار الإسلام ديناً رسمياً، وهي الدولة الإقطاعية التي نشأت في أواخر القرن التاسع الميلادي في أراضي تتارستان الحالية. وترجع أولى الكتابات عن الإسلام باللغة الروسية القديمة إلى القرن التاسع الميلادي، ولعل مصدرها ترجمات مدونات تاريخية يونانية وردود النصارى على مختلف الفرق والديانات.

ثم نجد ذِكْرَ الإسلام والمسلمين في تدوينات الزوَّار النصارى إلى الديار المقدسة كدانييل الزائر، الذي صنف كتاب «مسيرة دانييل رئيس دير من الأراضي الروسية»، وهو أقدم ما وصل إلينا من كتب الزوار الروس، وفيه وصف لرحلته إلى فلسطين التي كانت بين عامي (١١٠٦-١١٠٨م).

وفي القرن الخامس عشر الميلادي وصف التاجر الروسي أفاناس نيكتين الشرق المسلم في كتابه الرحلة إلى الأراضي الواقعة وراء ثلاثة بحور، الذي صنفه أثناء رحلته إلى الهند. ومكث نيكتين فترة في البلاد العربية وبلاد فارس والهند، وزار مسقط، والصومال، وتركيا، ومات في الطريق إلى روسيا. وفي مذكراته ما يدل على إسلامه، وقد سمى نفسه خوجا يوسف الخورساني[1]، ويحتمل أنه لم يسلم حتى مات.

وفي منتصف القرن الثالث عشر دخلت معظم بلاد روسيا تحت النفوذ

(١) يرماكوف إي. الإسلام في الأدب الروسي، من موقع :
http://www.gumer.info/bogoslov_Buks/Islam/Article/_Ermakov_IslLit.php

السياسي والفكري والثقافي لدولة التتار، وإلى أواخر القرن الخامس عشر كان المسلمون يتلون القرآن الكريم في الكرملين؛ لأن القصر التتري ـــ وهو مقر عمال الجزية ـــ كان فيه. ويذكر في المراجع كذلك القصر الرحماني، حيث كان ينـــزل سفراء التتار.

وبدأ الحال يتغير بعد أن استولى القيصر إيوان الرابع الملقب بالرهيب على قازان في عام (١٥٥٢م). وعلى مدار العصور الثلاثة التالية امتلأت الكتب الروسية التاريخية والأدبية وغيرها بالأكاذيب عن الإسلام. وتَشعر من مؤلفات أندري كوربسكي (١٥٢٨-١٥٨٣م) ومعاصره إيوان بيريسفيتوف أنه كان لديهما معلومات عن الدين الإسلامي، ومع ذلك كانت هذه الكتب شبيهة بأعمال نيقولا كوزانوس (١٤٠١-١٤٦٤م)، وخوان دي سيجوفيا (١٤٠٠-١٤٥٨م). وكان إيوان بيريسفيتوف يعيش ويعمل في مناطق روسيا الغربية، ولتوانيا. وقد ترجم معاني القرآن الكريم أول مرة إلى لغة من اللغات السلافية - وهي اللغة البيلوروسية - في لتوانيا في فترة من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر الميلادي، وقام بهذه الترجمة التتار الذين عملوا عند الأمراء اللتوانيين[1].

وفي عام (١٥٤٩م) توجه إيوان بيريسفيتوف إلى الملك إيوان الرهيب بخطابين يوضح فيهما خطة واسعة لإصلاح نظام الدولة؛ مستفيداً من تجربة الخلافة العثمانية، كما عرض في خطابه «قصة السلطان محمد»، التي ذكر فيها «كيف كان يحكم بالعدل في ملكه»[2]؟

وفي عام ١٦٨٣م في مدينة تشيرنيغوف طبع كتاب «قرآن محمد»

Alkoran Macometov. Nauka heretycka y zydovska y poganska napelniony.

---

(١) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٣٨٥.

(٢) نيفيودوف س. أ. إصلاحات إيوان الثالث وإيوان الرابع: تأثير الدولة العثمانية. من موقع:
http://belinka.ur.ru/elib/Authors/NEFEDOV/Science/Russia/Osman.htm#_edn93

باللغة البولونية، وألفه المنصر الأرثوذكسي الشهير يوحنِّيكي جالاطوفسكي المتوفى عام (١٦٨٨م). ويشهد هذا الكتاب بعدم اطلاع مؤلفه على نصوص القرآن والسنة، فإنه لم ينقل فيه الآيات القرآنية قط، وبالرغم من ذلك فقد تُرجم الكتاب المذكور إلى اللغة الروسية مرتين. ولهذا المنصر مصنفات غير كتاب «قرآن محمد»، منها: «السماء الجديدة»، و«الإوز وريشه»، وكل منهما يتعلق بالإسلام بعض التعلُّق.

فأما الكتاب الأول ففي موضعين منه يَدَّعي المؤلف أن قوله منقول من القرآن الكريم؛ وليس كذلك، وفي موضع ثالث وفق للصواب. وأما الكتاب الآخر فلم يسند فيه إلى القرآن إلا ما هو ليس منه، ويحسب المستشرق يفيم ريزفان أن هذه الاقتباسات الخاطئة ترجع إلى الكتب اليهودية الجدلية.(١)

وأدخل تدريس اللغات الشرقية في برامج المدارس العليا، وأسست الأقسام الخاصة بهذه اللغات لأول مرة بعد إصدار المرسوم الجامعي الأول عام (١٨٠٤م). وأنشئ أول قسم للغة العربية في جامعة خاركوف عام (١٨٠٤م)، وكان أول أستاذ يُدرّس اللغة العربية فيه سنة (١٨٠٥م) هو الأستاذ بيرندت. وتبع ذلك إنشاء قسم اللغة العربية في جامعة قازان عام (١٨٠٧م). وقد قام بتدريس اللغة العربية فيما بعد في هذه الجامعة عدد من الأساتذة العرب، فقد درّس فيها أحمد بن حسين المكي في الفترة (١٨٥٢ – ١٨٥٤م)، ثم جاء بعد ذلك العربي الفلسطيني بندلي بن صليبا جوزي في الفترة (١٨٧١ – ١٩٤٢م)، وهو من القدس، ولد وتعلم بها، وكان هذا الأستاذ قد تعلم في مدينة قازان، وحصل على دبلوم الدراسات العليا منها، كما حصل على الدكتوراه سنة (١٨٩٩م) في فكر المعتزلة، وكتب مقالة القرآن الكريم لموسوعة دينية أرثوذكسية، كما

(١) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٣٨٩.

ألف كتاباً مدرسياً لتعليم اللغة الروسية للعرب، وألف كذلك قاموساً روسياً عربياً، كما كتب أبحاثاً قيمة من مصادر عربية مهمة لتاريخ القوقاز، ومنها حركة «بابك الخُرَّمي»، وحلل أخباراً في غزو الروس لمدينة «بردعة» في جنوب أذربيجان، وترجم إلى اللغة الروسية «مقتطفات من تاريخ أذربيجان» من كتب اليعقوبي والبلاذُري. ولـــه من المصنفات أيضاً كتاب في «الحركات الفكرية في الإسلام»، وكتاب «تاج العروس في معرفة لغة الروس»، وكتاب «أصل الكتابة عند العرب»، وكتاب «جبل لبنان: تاريخه وحالته الحاضرة». وقد عاش جوزي طوال حياته في روسيا، وتبرز مكانته من كونه ألَّف عدداً كبيراً من المقالات، وترجم مقتطفات من مصادر عربية مهمة لتاريخ القوقاز[1].

وبعد تأسيس متحف المخطوطات الشرقية والعملات الآسيوية التابعة لأكاديمية العلوم في سانت بطرسبورغ سنة (١٨١٨م) بدأ تدريس الاستشراق في جامعة سانت بطرسبورغ، وذلك في عام (١٨١٩م).[2] وبدءاً من سنة (١٩٣٨م) أصبح هذا المتحف يعرف باسم معهد الاستشراق، وكان أول أمين لهذا المتحف المستشرق فرين، الذي يدين له الاستعراب الروسي بإرساء أسسه.

نشأة الترجمات الروسية لمعاني القرآن الكريم

وفي سنة (١٧١٦م) نُشرت أولى الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية، والتي سُميت «القرآن لمحمد» أو «القانون التركي». وقام بها مترجم مجهول من ترجمة ضعيفة باللغة الفرنسية لصاحبها ديو رييه، وذلك بأمر الإمبراطور بطرس الأول. وقد نسب بعض المؤرخين هذه الترجمة إلى دميتري كانتمير، وبعض آخر إلى بيوتر بوسنيكوف، والراجح أن صاحبها مجهول، والله أعلم.

---

(١) فاطمة عبد الفتاح. إضاءات على الاستشراق الروسي، من موقع:
http://islamiyatonline.com/Arabic/Report/display.asp?reportid=2726

(٢) الاستشراق، في الموسوعة السوفياتية الكبرى، ٥/٣٩٠.

فأما الأمير دميتري كانتمير فمن المعلوم أن الترجمة المذكورة نسبها إليه المؤرخ فاسيلي صوبيكوف، ولعل من أسباب ذلك أنه ترجم بأمر الإمبراطور بطرس الأول كتاباً عن القرآن والسيرة النبوية من اللغة اللاتينية. وسمي كتابه «كتاب حالة الدين المحمدي» واشتهر، بعدما طبع في بطرسبورغ عام (١٧٢٢م). وكان الأمير كانتمير سياسياً شهيراً وعالماً كبيراً، وكان عضواً في أكاديمية العلوم في برلين، وتعرَّف على الإسلام في الدولة العثمانية أيام أسره.

وأما بيوتر بوسنيكوف فقد عزا هذه الترجمةَ إليه المؤرخُ بيوتر بيكارسكي، وقد ذكر ذلك نيكولي كراسنيكوف في محاضرته؛ إذ أخبر أن الدكتور بوسنيكوف الطبيب الفيلسوف الديبلوماسي توفي في أواخر سنة (١٧٠٩م) أو في بداية سنة (١٧١٠م)، ويدل ذلك أنه لم يكن صاحب الترجمة في سنة (١٧١٦م).

وفي أواخر القرن السابع عشر ترجمت معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية عن الترجمة الفرنسية المذكورة مرة أخرى، و لم يطبع هذا العمل حتى الآن. ويحتمل أن صاحبه الدكتور بيوتر بوسنيكوف، الآنف الذكر، الذي عمل في باريس مدة طويلة. وقد اختلف في اسمه إذ سماه بعض المؤرخين بوستنيكوف؛ وذلك لأن الدكتور بيوتر بوسنكوف كان يوقع على بعض الأوراق (بوستنيكوف) بالتاء الزائدة. ونجد الإمضاء نفسه تحت مخطوطة ترجمة معاني القرآن الكريم التي تحفظ في الأرشيف الروسي الدولي للوثائق القديمة (صندوق ١٨١، برقم ١٤٨/ ٢١٧). ويحتمل أن بيوتر بوسنكوف صاحب الترجمة المذكورة هو أخو الدكتور بوسنكوف الصغير. وممن رجح هذا القول نيكولي كراسنيكوف. وأشار كاتب السير دميتري تسفيطاييف أن كلا الأخوين عمل في باريس، وقد سماهما أبوهما فاسيلي بوسنيكوف باسم واحد، والله أعلم.

وحتى منتصف القرن الثامن عشر، كانت تنشر في روسيا الكتب والمقالات

غيرالعلمية بما تحويه من افتراءات على الإسلام، ومعظمها خُصص للتسلية. ثم تغيرت الحال في عهد الإمبراطورة كاترين الثانية، ولاسيما بعدما انتصرت روسيا على الدولة العثمانية في الحرب، واستولت على القرم عام (١٧٨٣م، الموافق عام ١٢٠٦هـ). ولتهدئة الشعوب المسلمة الخاضعة لها أمرت بإنشاء إدارات دينية إسلامية. وفي سنة (١٧٨٢م) أسست دار الإفتاء في حصن أوفا. وفي عام (١٧٨٥م) صدرت وثيقة التسامح الديني، والتي ضَمِنت ونظَّمَتْ بعض حقوق المسلمين في الإمبراطورية الروسية.

وإنفاذاً لأمر الإمبراطورة كاترين الثانية، طُبِع القرآن الكريم وتفسيره باللغة العربية، في مطبعة أكاديمية العلوم في سانت بطرسبورغ، وكانت الطبعة الأولى عام (١٧٨٧م) مخصصة للتوزيع بين القرقيزيين مجاناً. وقام بإعداد تلك الطبعة ومراجعتها ورسمها الملا عثمان إسماعيل، وضبط ذلك المصحف على ما يوافق رواية حفص عن عاصم، واحتوى على (٤٤٧) صفحة، وأضيفت إليه صفحة واحدة فيها ثلاثة عشر تصويباً. وفي الفترة من عام (١٧٨٩م) إلى عام (١٧٩٨م) صدرت في بطرسبورغ خمس طبعات من المصحف الشريف.

وذكر سكرتير الإمبراطورة ألكسندر خرابوفيتسكي في يومياته - من يوم (١٧) ديسمبر (كانون الأول) عام ١٧٨٦م - أنها بينت للجنرال الأمير ألكسندر فيازيمسكي أن المقصود من بناء المساجد للقرقيزيين في الحدود، وطباعة المصاحف، ليس نشر الدين المحمدي، بل استهواء المسلمين[1].

وبعد صدور القرار بإلغاء تحديد نشر الكتب الإسلامية في روسيا يوم ١٥ كانون الأول عام (١٨٠٠م) سلمت أكاديمية العلوم خطوطها العربية إلى قازان، إذ فُتحت أولى المطابع الإسلامية. وفي الفترة من عام (١٨٠٢م) إلى

(١) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٣٩٧.

عام (١٨٤٩م) طُبع في قازان نحوٌ من (١٥٠) ألف نسخة من ذلك المصحف. وفي حواشي طبعة سنة (١٨٥٧م) بينت الفروق بين رواية حفص عن عاصم والقراءات الست الأخرى. وأما في العهد السوفيتي فطبع مصحف قازان في أوفا مرتين عام (١٩٢٣م) وعام (١٩٢٦م).

وفي سنة (١٨٤٩م) طلب النائب العمومي للسينودس الأقدس من الأمبراطور نيقولاي الأول أن ينهى عن طباعة المصحف في قازان؛ لما فيها من إبعاد التتر المسيحيين عن النصرانية، وأشار في تقريره إلى أن إحدى المطابع الخاصة في قازان نشرت مائتي ألف مصحف في سنة واحدة. وقد أثبت يفيم ريزفان في كتابه أن هذا الرقم مبالَغٌ فيه جداً. وأمر الإمبراطور بمنع طباعة المصاحف والكتب الإسلامية، ولكن مجلس الوزراء رأى أن النهي التام قد يؤدي إلى انتقال بيع الكتب الإسلامية إلى أيدي الإنجليز وتهريب الكتب الدينية وتصلب المسلمين، لذلك اكتفت الحكومة الروسية بتشديد الرقابة؛ لإزالة الأقوال الخطيرة المخالفة لموقف الحكومة والكنيسة[1].

وفي أواخر القرن الثامن عشر أُعِدت ترجمتان جديدتان لمعاني القرآن الكريم بأمر الإمبراطورة كاترين الثانية. ففي سنة (١٧٩٠م) طبعت الترجمة التي قام بها المدير الأول للمدرسة الثانوية في قازان فيريوفكين (١٧٣٢-١٧٩٥م). وسمَّى كتابه «قرآن محمد العربي الذي ادّعى في القرن السادس أنه أُنزل إليه، وأعلن نفسه آخر أنبياء الله وأعظمهم». وكانت هذه الترجمة المتميزة بالجمال والفصاحة مأخوذة من الترجمة الفرنسية لديو رييه. وكان فيريوفكين يجيد عدة لغات أجنبية، وقبل ترجمته لمعاني القرآن ترجم كتاب «تاريخ الإمبراطورية العثمانية» لرئيس دَير كاثوليكي مينيو، وكتاب «الصورة الكاملة للإمبراطورية

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

العثمانية» لإجناس دي أوسّون. وذكر نيقولاي كراسنيكوف أن الأدباء الروس عدّوا فيريوفكين من المترجمين المجتهدين الحذاق. وقد تركت ترجمته لمعاني القرآن أثراً كبيراً في تاريخ الأدب الروسي، وحَفَزَتْ الشاعر الروسي المشهور ألكسندر بوشكين (١٧٩٩-١٨٣٧م) على نظم قصيدته التي عنوانها «قبسات من القرآن»، وفيها اقتباسات من ثلاث وثلاثين سورة قرآنية ،وذلك عام (١٨٢٤م). وقد ظهر فيها إعجاب الشاعر بأسلوب القرآن وفصاحته وبيانه، ومما يدل على ذلك اعترافات بوشكين بأن ترجمة فيريوفكين هي أول الكتب الدينية التي أذهلت عقله[١].

ولم يَنْصَعْ بوشكين لتأثير عنوان الترجمة، ولا للمقالة المختصرة الملحقة بها، وهي بعنوان: «سيرة المتنبئ الكذاب محمد» لأمين مكتبة سوربونا رئيس دَير كاثوليكي لادفوكات. وذكر الشاعر أن المتكلم في القرآن باللغة العربية هو الله، وأن محمداً هوشخص مخاطب أو غائب[٢].

وبعد سنتين من نشر تلك الترجمة ظهرت ترجمة أخرى لمعاني القرآن للشاعر قالماكوف المتوفى (١٨٠٤م)، وهي مأخوذة من ترجمة معاني القرآن باللغة الإنجليزية للكاتب سيل، وأضيفت إليها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم للدكتور بريدو. وكان قالماكوف يعمل في أكاديمية الأسطول البحري مترجماً من اللغة الإنجليزية، وكان يتخصص في النصوص التقنية، ذكره ريزفان في كتابه. وقال كراسنيكوف: إن قالماكوف تعلَّم الطرق الزراعية في بريطانيا، ونشر مقالاته في «مجلة العنب النامي» من عام (١٧٨٥) إلى عام (١٧٨٧م). وفي فترة من عام (١٧٩٠ إلى عام ١٧٩١م) نشر عدداً من قصائده، ومجموعة من الأشعار، وتكررت طباعتها سنة (٢٠٠١م) في مجلدَين في دار إليبرون كلاسيكس (Elibron Classics).

(١) جريزنيفيتش، القرآن في روسيا: دراسة وترجمات وطبعات، ص ٧٨.
(٢) بوشكين، مجموعة المؤلفات، ٢٥٢/١.

وفي سنة (١٨٦٤م) ظهرت ترجمة لمعاني القرآن للكاتب نيقولايف؛ مأخوذة من الترجمة الفرنسية للمستشرق بييرشتين كازميرسكي إلى عام (١٩١٧م) وقد تكررت طباعتها في موسكو خمس مرات، وفي سنة (٢٠٠١م) أعيدت طباعتها في دار إليبرون كلاسيكس (Elibron Classics). والطبعة الثالثة المنقحة لهذه الترجمة ظهرت في كازاخستان عام (١٩٩٨م). وترجمة نيقولايف لمعاني بعض السور نشرت في مجلة الخزر: «ترجمة معاني سورة النساء» في العدد ٣ (٤) عام (١٩٩٠م)، و «ترجمة معاني سورة المائدة» في العدد ٤ (٥) عام (١٩٩٠م)، و«ترجمة معاني سورة الأنعام» في العدد ١ (٥) عام (١٩٩١م).

وقال المستشرق السوفيتي كليموفيتش: «إن هذه الترجمة كانت محررة إلى حدٍ ما، وفي مواضع كثيرة بصورة غير حسنة[١]». ومع ذلك اعترف الأكاديمي كراتشكوفسكي أن ترجمة معاني القرآن لنيقولايف لم يقلل من أهميتها في الأدب الروسي أنها منقولة عن الفرنسية. ومن شأنه أنه أغنى الناسَ عن الرجوع إلى الترجمات السابقة التي تعود إلى القرن الثامن عشر.

وفي سنة (١٨٥٩م) ظهر كتاب «الفهرس الكامل للقرآن أو مدخل إلى كلماته وعباراته» وهو بمنـــزلة دليل لدراسة مبادئ القرآن الكريم الدينية والشرعية والتاريخية والأدبية للكاتب ميرزا محمد كاظم بك (١٨٠٢-١٨٧٠م) الذي كان يعد من أكبر المستشرقين في تلك الفترة. ولد ميرزا محمد في مدينة دربند، وفي عام (١٨٢٠م) طُرد أبوه حاجي كاظم بك الأذربيجاني إلى مدينة أسترخان؛ بسبب علاقته بأمير دربند السابق. وبعد ما لحق ميرزا محمد بأبيه تأثر بالمنصرين الأسكتلنديين، وتعلَّم منهم اللغة الانجليزية، ثم تنصَّر. وبعد فترة توظَّف في وزارة الشؤون الخارجية، وعُيِّن مترجماً لدى الجنرال والي مقاطعة

(١) كليموفيتش، كتاب عن القرآن ومنشئه وأساطيره، ص ٩٨.

أومسك. وفي طريقه إلى هذه المدينة نزل في قازان، وغيَّر وِجْهته بالنسبة إلى الوظيفة؛ فاشتغل مدرّساً للغات الفارسية والتركية والتترية في جامعة قازان حتى ترقى إلى درجة أستاذ، وعلمُه العميق بالاستشراق مع تلقيه الثقافة الأوروبية -إذ ألَّف باللغتين الإنجليزية والفرنسية- جعله من أشهر علماء الاستشراق الروسي والغربي. وفي عام (١٨٣٥م) أصبح عضواً في أكاديمية العلوم الروسية. ومن أهم مؤلفاته مقرر الفقه بعنوان «مختصر الوقاية» (قازان، ١٨٤٥م)، ومقالة «المريدية وشامل» (مجلة الكلام الروسي، ١٨٥٩م، العدد ١٢)، وكتاب «الباب والبابية: الفتن الدينية السياسية في بلاد فارس» (بطرسبورغ، ١٨٦٥م). وبعد نشر كتابه «دربند نامه»مترجماً إلى اللغة الإنجليزية عام (١٨٥١م) منحته الإمبراطورة البريطانية الوسام الذهبي.

أما كتابه «الفهرس الكامل للقرآن» فمِنْ أهم عيوبه أن صاحبه لم يعتمد على نص القرآن الذي اتفق عليه المسلمون، بل اعتمد على مصحف المستشرق الألماني جوستاف فليوجل

Ranus Arabice، recensionis Flugelianae textum recognitum ،iterum exprimi curavit Gustavus Mauritus Redslob

ومن المعلوم أنه يختلف عن الروايات المعتمدة عند المسلمين، ونُشر الفهرس لمصحف جوستاف فليوجل باللغة الألمانية Concordantie Corani Arabicae عام (١٨٤٢م).

وفي موسوعة بروكغاوز وييفرون نجد مقالة القرآن للمستشرق المشهور كريمسكي، وفيها ذكر ترجمة معاني القرآن الكريم لصاحبها كاظم بك. ويقول كريمسكي في كتابه المتأخر تاريخ الإسلام: «قام كاظم بك بترجمة القرآن من اللغة العربية عام (١٨٥٩م)، وللأسف لم تنتشر هذه الترجمة انتشاراً واسعاً

وأصبحت من الكتب النادرة، و لم أقف عليها قط»[1]. وذهب بعض المؤرخين – ومنهم نيقولاي كراسنيكوف– أن تلك الترجمة المزعومة لم تكن، وذكرها آخرون في كتبهم تبعاً لكريمسكي.

ومن الجدير بالذكر أن دراسة علوم القرآن لم تلق رواجاً بين المستشرقين الروس حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وقد كان اهتمام روسيا بالإسلام في أكثر الأحيان اهتماماً سياسياً يدخل في إطار تنازعها مع الدولة العثمانية حول شبه جزيرة القرم، وبسط نفوذها السياسي على البحر الأسود. ولا يعني هذا أن نشأة الاستشراق الروسي لم تتمَّ في محضن العداء الديني بين المسيحية الأرثوذكسية والإسلام؛ خلافاً لما زعمه المستعربون الروس، وبعض الباحثين المسلمين؛ فقد بذلت الدولة الروسية كلَّ ما في وسعها لتنصير الشعوب الإسلامية الواقعة ضمن حدودها منذ عهد القيصر إيوان الرهيب.

وتقول الدكتورة فاطمة عبد الفتّاح: «من أسباب تميُّز الاستعراب الروسي عن الاستعراب الأوروبي الغربي أنه لم يصدر عن مثل أرضية العداء بين الغرب والشرق الإسلامي، وإنما كان هذا الاستعراب بدافع الفضول المعرفي الإنساني؛ لأن المستعربين الروس أنفسهم يرون أن التراث الإسلامي هو جزء مكمل لتراثهم الشرقي. يقول المستعرب بلوندين: «نحن الروس، وجميع الذين في الساحة الروسية القيصرية السابقة، شرقيون بأنفسنا، وجزء من أراضينا موجود في آسيا، وثلثا حدودنا مع دول آسيوية مثل تركيا والصين والمناطق الإسلامية التي كانت قديماً ولايات للخلافة العربية» ،كما يقول بتروفسكي: «إن الدراسات الشرقية ليست دراسات لعالم بعيد أو غريب، وليست دراسات مرتبطة كثيراً بالسياسة الاستعمارية. في روسيا تُعَدُّ الحضارة الإسلامية جزءاً من تراثنا، فأغلبية الناس

(١) كريمسكي: تاريخ الإسلام، ص ٢١٩.

في روسيا مسيحيون أرثوذكس، والدين الثاني في روسيا هو الإسلام؛ لذلك نحن ندرس الحضارة الإسلامية كجزء من تراثنا»[1].

أقول: إن الكنيسة الروسية الأرثوذكسية وقفت إلى جانب السياسة الإمبراطورية للدولة الروسية في كل آنٍ، واستخدمت النفوذ السياسي لتنصير جميع الشعوب الواقعة تحت احتلالها. وكان إخضاع القوقاز وبَسْطُ نفوذ الإمبراطورية القيصرية على آسيا الوسطى مصحوباً بالإغراء المالي، وإعطاء الرواتب العالية لمن يتنصَّر من المسلمين، وتعيينهم في المناصب الرفيعة وغيرها، مما يفسد الدين والأخلاق، ويفقد الشرف والمروءة. وابتدأ إغراء المسلمين بالمال والسلطة على نحوٍ منتظم منذ عهد الإمبراطورة كاترين الثانية. وعلى مدى أكثر من مائتي عام تعرَّض مسلمو روسيا للتمييز، وبلغ اضطهاد المسلمين ذروته أثناء حكم الطاغية ستالين؛ فحرمت الشعوب المسلمة من كتابتها العربية، وكادت تقلع من جذورها الحضارية والتاريخية. وأما قول المستعربين الروس بأن الحضارة الإسلامية جزء من تراث الدولة الروسية فكلمة حق يراد بها باطل، وما زالت حكومة روسيا والكنيسة الأرثوذكسية تحذِّران من ازدياد قوة الإسلام واتساع نفوذه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذا، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر نُشر معجمًا «مفردات القرآن». طُبع الأول في قازان عام (١٨٦٣م) وكان للمستشرق غوطفالد (١٨١٣-١٨٩٧م)، وطُبع الثاني في بطرسبورغ سنة (١٨٨١م) وكان لصاحبه غيرغاس (١٨٣٥-١٨٨٧م).

(١) فاطمة عبد الفتاح: إضاءات على الاستشراق الروسي. من موقع:
http://islamiyatonline.com/Arabic/Report/display.asp?reportid=2635

وفي سنة (١٨٧١م) أكمل الجنرال بوغوسلافسكي رئيس حرس الشيخ شامل في بطرسبورغ وقالوغا ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وكان قد عمل ديبلوماسياً في إسطنبول فترة طويلة. ومن خصوصيات تلك الترجمة أن صاحبها كثيراً ما يرجع إلى كتب التفسير ولا سيّما تفسير «الكواكب» باللغة التركية لإسماعيل فروخ المتوفى سنة (١٨٤٠م). وحسب ريزفان فإن الجنرال بوغوسلافسكي اتخذ هذا المنهج ليبين كيف يفهمُ المسلمون جيران روسيا القرآنَ الكريمَ، فهو ممن مارس سياسة روسيا في بلاد الشرق[١].

وكانت تلك الترجمة المزيدة بالتعليقات الهامة أدق الترجمات لمعاني كتاب الله في وقتها، ولكنها لم تطبع إلا عام (١٩٩٥م) في مركز الاستشراق بسانت بطرسبورغ. وقيل: إن صاحبها بوغوسلافسكي لم ينو نشرها في بدء الأمر، ثم عزم على طباعتها، ولم يتمكن من ذلك إلا بعد عودته من إسطنبول؛ بسبب خدمته في الوزارة العسكرية. وزعم ريزفان أن المترجم لم ينو نشرها ألبتة، وأشار كراسنيكوف إلى أن قوله غير مثبَت بحجج. وطبعت الترجمة المذكورة في تركيا عام (٢٠٠٠م) وتكررت طباعتها عام (٢٠٠١م).

وفي سنة (١٨٧٨م) ظهرت ترجمة معاني القرآن للمستشرق الشهير المنصر جوردي سابلوكوف. وبعد عام واحد من طباعتها أول مرة في قازان نشر كتاب «الملحقات» ، وهو فهرس موضوعات القرآن، للمستشرق نفسه. وفي سنة (١٨٨٤م) طبع كتابه «الأخبار عن القرآن» وهو عبارة عن كتاب تشريعي في الدين المحمدي. وتكررت طباعة ترجمة سابلوكوف أكثر من مرة، وكانت طبعة عام (١٩٠٧م) قد أضافت النص العربي.

---

(١) ريزفان، في موسوعة «الإسلام في أراضي الإمبراطورية الروسية»، ص ٥٢.

وقد انتقد العلماء الروس من المستشرقين وغيرهم منهجَ سابلوكوف وترجمته لمعاني القرآن. وقال كريمسكي في كتابه «تاريخ الإسلام»: «إن ترجمة سابلوكوف ترجمة حرفية ميتة، ولا يمكن فهمها في كثير من المواضع؛ إلا بعد الرجوع إلى الأصل العربي، علاوة على ذلك ففيها عدد كبير من الأخطاء التي لا مراء فيها». (١)

ومما قيل عن هذه الترجمة ما جزم به المستشرقان بيلايف وجريزنيفيتش: «ومع مرور الزمن ظهرت سلبيات هذه الترجمة لكل من قام بالرجوع إليها؛ فأما المستشرق المتخصص في اللغة العربية فكان يجد فيها أخطاء كثيرة، وأما غير المتخصص فكان لا يفهم أحياناً خصائص نص الترجمة المليئة بالكلمات القديمة أو العبارات المبهمة، التي منعت من فهم المعنى الظاهر للترجمة. وقد يسأل القارئ نفسه: هل فهم المترجم ماذا أراد بهذا الكلام؟» ثم قالا: «وُجِد في ترجمته كلمات خاصة بالكتب النصرانية التي تستخدم عند ترجمة التوراة والإنجيل إلى اللغة الروسية، وبسبب هذه الكلمات يكون القارئ العامي قد أخذ فكرة خاطئة عن العقيدة الإسلامية والمعنى الحقيقي لهذا الأثر العظيم» (٢).

وبالرغم من ذلك أشبعت ترجمة سابلوكوف لمعاني القرآن حاجة العلماء، والمجتمع الروسي على مدى مائة عام، وكانت تعد من أهم المراجع عن الدين الإسلامي. واستحق صاحبها مدح كثير من العلماء، منهم الأستاذ الدكتور كراتشكوفسكي إذ قال: «لم يتمكن أحد في أكاديمية قازان من تأسيس منهج للاستعراب ودراسة الإسلام إلا جوردي سابلوكوف». وتتابع أصحاب هذه المدرسة، بعضهم إثر بعض، حتى ثورة أكتوبر عام (١٩١٧م)، مع أن كثيراً من أتباعه لم يبلغوا حدَّه في العلم والنزاهة التي ادعاها. ومن أكبر ممثلي هذه

(١) كريمسكي: تاريخ الإسلام، ص ٢٢٠.
(٢) كراتشكوفسكي، ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية، ص١٧-١٨.

المدرسة ثلاثة تعاقب بعضهم إثر بعض[1]، وهم: مالوف، وأوستراوموف، وماشانوف.

ولأكاديمية قازان الدينية دور كبير في دراسة الإسلام عقيدة وشريعة، ومحاربته سراً وعلانية، ويعد مدرسوها وخريجوها من أوائل المنصرين المحترِفين في روسيا[2]، منهم نيقولاي أوستراوموف (١٨٤٦-١٩٣٠م) مدرس اللغتين العربية والتترية والتاريخ الإسلامي، والعقيدة الإسلامية بأكاديمية قازان الدينية، ثم مدير المدرسة الثانوية الدينية في تركستان. ومن تصانيفه المتعلقة بالقرآن وعلومه كتاب «الدراسة النقدية لمعتقدات محمد في الأنبياء» (قازان، ١٨٧٤م)، وكتاب «القرآن والتقدم» (طشقند، ١٩٠١م)، وكتاب «عالم الإسلام في الماضي الحاضر» (قازان، ١٩١٢م)، وكتاب «الشريعة» (طشقند، ١٩١٢م)، وكتاب «جزيرة العرب مهد الإسلام» (طشقند، ١٩١٠م)، وكتاب «القرآن: شكله الخارجي وتاريخ نصه» (طشقند، ١٩١٢م)، وكتاب «المقدمة في علوم الإسلام» (طشقند، ١٩١٤م)، وكتاب «عقيدة القرآن» (موسكو، ١٩١٥م) وغيرها.

ومدرسة الاستشراق في قازان تميزت بموقفها من الإسلام ثقافة وعقيدة ودولة. ولم يُرْجع أصحابها ظهور الإسلام وفق الظروف الاجتماعية والسياسية، بل درسوا كتب التفسير والسنة والسيرة النبوية وذلك لمحاجة المسلمين وإبطال عقائدهم. وانتقد كثير من المستشرقين الروس تصنيفات أصحابها لأغراضهم التنصيرية، وحسب ما يرى المستشرق روزن فإن هذه النزعات وما يشابهها مهلكة للعلم[3].

---

(١) كراتشكوفسكي، مقالات في تاريخ الاستعراب الروسي، في مختارات من المصنفات، موسكو-لينينغراد، ١٩٥٨م، ١٢٩/٥.

(٢) فالييوف، من تاريخ الاستشراق في قازان في الأواسط والأواخر من القرن التاسع عشر: جوردي سيميونوفيتش سابلوكوف باحث في العلوم التركية والإسلامية، ص ٦.

(٣) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٤١٥.

وللاستشراق الروسي؛ تيار آخر مماثل في كتب فيكتور روزن (١٨٤٩-١٩٠٨م) وفاسيلي بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠م) وأغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١م) وأغافانجيل كريمسكي (١٨٧١-١٩٤٢م) وغيرهم، وكان نطاق بحوثهم يحيط بالمسائل العامة للاستشراق في أوروبا. ومما يدل على ذلك محاضرات كريمسكي التي ألقاها في موسكو عام (١٩٠٥م) حول القرآن وتفسير بعض السور. وفي السنة نفسها طبعت تلك المحاضرات في موسكو، مما يعد من أهم الوقائع في تاريخ الاستشراق الروسي قبل الثورة الاشتراكية.

اهتمام العلماء المسلمين بدراسة القرآن الكريم

وممن اهتم بدراسة القرآن وعلومه إلى جانب المستشرقين العلماءُ المسلمون، وكان لهم دور كبير في الاستعراب الروسي؛ إذ حافظوا على الثقافة الإسلامية في أيام الإمبراطورية القيصرية. وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الحركة القومية الإسلامية للإصلاح الديني في بلاد التتر أولاً، ثم انتشرت بسرعة في الأقاليم الإسلامية الأخرى. وكانت تلك الحركة غير متجانسة وكانت تستوحي أفكاراً أجنبية عديدة، مثل الرومانسية الألمانية، والتحررية البريطانية، والحركة الصقلبية، وفكر الثورة الفرنسية، والتنظيمات التركية، وفكر تركيا الفتاة، والحركة الدستورية الإيرانية. وكان من أهم أهدافها التخلص من التقاليد المحافظة، ونشر المعارف، والبحث في القرآن والسنة عن الإجابات السليمة عن الأسئلة السياسية والاجتماعية والدينية كافة. وتمكنت تلك الحركة من بسط نفوذها على الشعوب المسلمة، وكان في طليعتها علماء التتر منهم شيخ الطريقة النقشبندية عبد الرحيم عثمان البولغاري (١٧٥٤-١٨٣٥م) والفقيه التتري أبوالنصر عبد الناصر بن إبراهيم البولغاري الكرساوي (١٧٧٦/١٧٧٧-١٨١٢م). فأما الشيخ عبد الرحيم فحاول أن يصفي الدين من العقائد الفاسدة،

وذلك بالتقليد الصحيح للأئمة الحنفية، والتحلي بالزهد والأخلاق الصوفية.

وأما الشيخ أبو النصر الكرساوي فقد دعا إلى ترك البدع والرجوع إلى الكتاب والسنة، وله ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية التي تكلمت بها الشعوب المسلمة على نهر الفولغا وفي الأورال. ولم يستطع الشيخ أن يكمل ترجمته، فمات وهو في طريقه إلى مكة. وشرع تلميذه نعمان بن عامر بن عثمان الكرساوي السامايي في تحرير ترجمة شيخه، فعزم على تصنيف كتاب التفسير ولم يكمله، فقد مات في الطريق إلى مكة أيضاً في مدينة أسكدار. وفي الثمانينيَّات من القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت حركة الأصول الجديدة، وكان لها أتباع في قازان والقرم والأقاليم الأخرى. ومن العلماء الذين نشروا تلك الأفكار الإصلاحية شهاب الدين المرجاني (١٨١٨-١٨٩٩م)، وعالم جان بن محمد خان البارودي (١٨٥٧-١٩٢١م)، وإسماعيل بك غاسبرالي (١٨٥١-١٩١٤م)، وموسى جار الله بيغي (١٨٧٥-١٩٤٩م)، وعطاء الله بايازيتوف (١٨٤٦-١٩١١م) وغيرهم من الذين ألفوا الكتب باللغات العربية والروسية والمحلية.

وفي ذلك الوقت انتشرت الكتب الإسلامية الدينية في روسيا، وتمتعت بشعبية واسعة بين الناس، ففي الفترة من عام (١٧٨٧م) إلى عام (١٩١٧م) تكررت طباعة المصحف نحواً من (١٨٠) مرة في عشرين مطبعة على أقل تقدير، منها خمس مطابع في بطرسبورغ، وعشر مطابع في قازان، ومطبعة واحدة في كل من موسكو والقرم وطشقند وسمرقند وداغستان، كما طبع نحو ثلاثمائة مجموعة من السور القرآنية، أوسور بمفردها.

وكثرت الأخطاء المطبعية في عدد من تلك الطبعات. وذكر ريزفان على سبيل المثال خطاب مفتي مدينة أورنبورغ سليمانوف، المؤرخ في ١٦ ديسمبر (كانون الأول) عام (١٨٥٨م) إلى وزير الداخلية، وفيه خبر عن المصحف الذي

طبع في مطبعة قوقوبين على نفقة التاجر يوسف كوتوفالوف في ٢٨ من يناير (كانون الثاني) عام (١٨٥٦م). فوجد في ذلك المصحف (٣٢٦) خطأ؛ فطلب المسلمون من الحكومة أن تعاقب المجرمين وتحول دون طباعة المصاحف إلا بعد رقابة المجلس الإسلامي الديني. ورغم كثرة مثل هذه الشكاوى مُنع المجلس من حق الرقابة، ولم يتمكن سوى مصححين اثنين من إدارة المجلس في قازان من الاطلاع على الكتب المطبوعة، فوقفا عاجزين عند القدر الكبير من الأغلاط. ولعل الحكومة الروسية وقفت هذا الموقف كي تنتشر الشبه، والآراء الفاسدة بين المسلمين ، ومما يدل على ذلك قول الجنرال والي مقاطعة أورنبورغ بأن تأسيس الهيئة الخاصة بمراقبة الكتب الإسلامية وتصحيحها ليس في مصلحة الحكومة؛ لأن انتشار الفرق الإسلامية المختلفة يضعف الإسلام لا محالة[1].

ولا يعني هذا أن الكتب الإسلامية فاتتها الرقابة كلياً، فقد منع المراقب من نشر كتاب تفسير وضع على (ترجمة معاني القرآن) لصاحبه إسماعيل شمس الدينوف عام (١٩٠٠م)، وكتاب «تفسير الكلام الشريف» في مجلدين عام (١٩٠٣م) وغيرهما من التصنيفات. ورأى ريزفان أن الحكومة الروسية كانت تمنع من نشر الكتب المريبة فحسب، مما أدى إلى انتشار الأفكار الإصلاحية بسرعة.

وفي تلك الأزمنة تمتعت التفاسير التترية بالشهرة، منها كتاب «تسهيل البيان في تفسير القرآن» لمحمد صادق الإيمان قولي (١٨٧٠-١٩٣٢م)، والذي اعتمد فيه على تفسير «الفوائد» باللغة الفارسية لحسين واعظ المتوفى عام (١٥٠٥م). وقد طبع ذلك الكتاب، وهو من مجلدين في قازان عام (١٩١٠م). وقبل هذا بثلاث سنوات، أي عام (١٩٠٧م) نشر «التفسير النعماني» المذكور في مدينة

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣٧.

أورنبورغ. والذي أعده الفقيه المؤرخ الأديب المشهور رضا الدين بن فخر الدين ابن سيف الدين (١٨٥٩-١٩٣٦م) الذي تولى منصب مفتي الإدارة الدينية المركزية لمسلمي روسيا الداخلية وسيبيريا عام (١٩٢٣م). وفي سنة (١٩٠٧م)، نشر كذلك كتاب «الإتقان في ترجمة القرآن» لصاحبه شيخ الإسلام بن أسد الله الحميدي (١٨٦٩-١٩١١م)، والذي أصله كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للعلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله.

وقصارى الكلام أنه في عهد الإمبراطورية القيصرية نشر عدد كبير من الكتب في التفسير وغيره من علوم القرآن، ففي صندوق قازان التابع لمعهد الاستشراق لأكاديمية العلوم الروسية في سانت بطرسبورغ نحو خمسة آلاف وحدة تخزين، أكثرها باللغة التترية. ولن نطيل الكلام فيها؛ لأن دراسة مصنفات العلماء المسلمين باللغات المحلية ليست من أهداف هذا البحث.

المسلمون في روسيا بعد الحرب العالمية الأولى

وبعد الحرب العالمية الأولى وقف كثير من مسلمي روسيا إلى جانب الثورة الاشتراكية التي قامت عام (١٩١٧م)، التي وَعَدت بمنحهم حريتهم واستقلالهم. وبعدما أحكم البلاشفة سيطرتهم على روسيا أرسلوا جيشهم الأحمر لاحتلال الدول المسلمة المجاورة. وبعد عام (١٩٢٧م) شرعوا في إقصاء الأديان عامة والإسلام خاصةً، فمُنع الناس من تأدية الصلاة، ومن الصوم، وألغيت المحاكم الشرعية والأوقاف، وأغلقت المساجد؛ فهدمت أو حولت إلى مخازن، وأغلقت المدارس الدينية، وحولت إلى مساكن طلابية. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي اضطهد نحو (٤٠) ألف إمام وعالم مسلم. وإذا وجد أثناء التفتيشات في بيت من بيوت المسلمين كتاب يتضمن أحرفاً عربية عوقب صاحبه أو قُتِل، بغض النظر عن مضمون الكتاب. وجرت في الفترة نفسها عملية تهجير بعض

الشعوب المسلمة من أوطانهم، كل ذلك لإطفاء نور الإسلام واستئصال دين الله سبحانه وتعالى.

وأثَّرت الدعاية ضد الدين في مدرسة الاستشراق الروسية؛ فعُرِفت كتب أتباعها بانتقاد الإسلام بحجج باطلة، على أساس العقيدة المادية الفاسدة. وفي ذلك الوقت ابتدع زعماء الدولة السوفياتية نظريات لظهور الإسلام، من حيث التفسيرات التجارية الرأسمالية، والبدوية، والزراعية، وقد رُفِضت بعد عدة سنوات من قبل المستشرقين السوفييت أنفسهم. وحسب قول المستشرق جريزنيفيتش عن تلك النظريات بأنها قصور منهجي، إذ تَعُدُّ ظهور الإسلام وفقاً للتطورات الاجتماعية الاقتصادية في جزيرة العرب حتمية في صورتها التاريخية المعينة، وذلك بصرف النظر عن تطور الوعي الديني لدى محمد وأتباعه[1].

وإلى جانب هذا طلب زعماء الحزب الشيوعي من المستشرقين التركيز على مآثر العِلْم الروسي، والاهتمام بالدراسات المعاصرة، وأنكروا عليهم الانقياد للتيارات الغربية، والولوع بالكتب القديمة. وصارت البحوث المستعربة التاريخية والثقافية والإسلامية محلَّ انتقاد، وقلَّ من يقوم بدراسة المراجع الإسلامية والمصادر القديمة؛ حتى راجت في أواخر الأربعينيات الشائعات عن إعادة تنظيم كلية الاستشراق بجامعة لينينغراد أو إلغائها[2].

وفي تلك الظروف في عام (١٩٣٠م) ظهرت ترجمة معاني القرآن للأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي مؤسس الاستعراب الروسي الجديد، والتي شرع فيها عام (١٩٢١م). وقد قُيدت هذه الترجمة في خطة عمل دار الأدب العالمي للنشر، ومنع من نشرها الخادم السياسي الشهير جدانوف؛ ولذلك لم تطبع

(١) جريزنيفيتش، قضايا دراسة تاريخ ظهور الإسلام، في كتاب الإسلام: دين ومجتمع ودولة، ص ٨.
(٢) دولينينا، عبد لوظيفته، ص ٣٧٦.

ترجمة معاني القرآن لكراتشكوفسكي إلا بعد موت صاحبها.

واكتفى المستعرب الشهير بتحليل نحوي للآيات القرآنية، فلم يرجع إلى كتب التفسير إلا نادراً ولو لضبط القواعد النحوية، ولم يَعُدْ إلى أقوال المفسرين لفهم المبهم من القرآن من عموم وخصوص وناسخ ومنسوخ. وقال تلميذه جريزنيفيتش: «ولقد اعتمد كراتشكوفسكي في فهم نحو القرآن، وغريبه وعباراته، على أشعار العرب القدماء، ولا سيّما شعراء وسط الجزيرة والمناطق الشرقية، الذين عاشوا في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى كتب الأحاديث الأولى. ومات كراتشكوفسكي ولم يتمكن من إكمال عمله، ومع ذلك فاقت ترجمته جميع الترجمات الروسية للقرآن، بل فاقت كثيراً من الترجمات الأوروبية بدقتها ومنهجها في دراسة النص» (١).

وقال بيلايف وجريزنيفيتش في مقدمة هذه الترجمة: «إن القاعدة التي اعتمد عليها كراتشكوفسكي في ترجمة معاني القرآن هي اعتقاده أن القرآن هو مادة أدبية، وأول أثر نثري كبير في الأدب العربي؛ ولذلك سلك طريقاً جديدة في الترجمة. وقد امتنع المترجم أن يتعامل مع القرآن على أنه مرجعٌ ديني وشرعي، وهذا ما جعله يلجأ إلى أساليب جديدة في الترجمة. ووضع كراتشكوفسكي نصب عينيه هدفاً وهو كتابة ترجمة أدبية صحيحة بعيدة عن التفاسير» (٢).

وطبعت ترجمة معاني القرآن للبروفسور كراتشكوفسكي أول مرة عام (١٩٦٣م) وأعيدت طباعتها أكثر من مرة بدءاً من سنة (١٩٨٦م). وكانت هذه الترجمة ترجمة حرفية مما جعلها مشابهةً للترجمة الإنجليزية لريتشارد بل، وللترجمة الفرنسية لريجيس بلاشير، وللترجمة الألمانية التي أعدَّها رودي باريت. والذي يمكن أن أضيفه بهذا الصدد القول بأن ترجمة كراتشكوفسكي ليست محررة من الناحية اللغوية، وتفتقر إلى مراعاة الأساليب البلاغية، وتقدير الكلمات

(١) جريزنيفيتش، القرآن في روسيا: دراسة وترجمات وطبعات، ص ٨٢.
(٢) كراتشكوفسكي، ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية، ص٢٠.

المحذوفة على نحو مناسب .

وحسب قول بيلايف وجريزنيفيتش: «إن بعض الظروف والأسباب منعت كراتشكوفسكي من بلوغ أهدافه، أي كتابة ترجمة أدبية صحيحة، ولم يقم المترجم بتحرير نهائي لترجمته، ولم يستفد من المادة العلمية الغنية التي جمعها، كما أن نص الترجمة لم يعالَج من الناحية الأدبية كما يجب» (١).

وأشار المؤرخ المشهور ثيودور شوموفسكي إلى أن ترجمة معاني القرآن لكراتشكوفسكي مليئة بالأخطاء فقال: «إن المقارنة بين هذه الترجمة الحرفية والنص العربي أظهرت (٥٥٠) خطأ في الترجمة، و(١٨٤) موضعاً فيه تشويه للمعنى. واستخدم المترجم كلمات جديدة غير مشهورة وغير مناسبة لترجمة مثل هذا الأثر العظيم في (١٠٨) مواضع، كما استخدم اللهجة التي لا يعرفها الناس في جميع مناطق روسيا في (٣٣) موضعاً. وقد يصل عدم اعتناء المترجم أحياناً إلى التهاون الواضح؛ ففي كل الترجمة يظهر أثر العجلة التي منعته من التأكد من معاني الكلمات والرجوع إلى القواميس» (٢).

ثم قال: «وقام كراتشكوفسكي بترجمة حرفية للقرآن دون الرجوع إلى القواعد اللغوية العربية، أو مراعاة أساليب القرآن الخاصة؛ فقد كان يقوم بوضع كلمة روسية محل الكلمة العربية، وحصل على صفحات ميتة لا تعطي تصوراً حقيقياً عن هذا الأثر العالمي الكبير» (٣).

ورأى شوموفسكي أن تعليقات البروفسور كراتشكوفسكي على ترجمته لا تفيد من يرغب في فهم معاني القرآن كثيراً ، ومع ذلك اعترف بأن هذه الترجمة هي تفسير موثوق به للقرآن (٤).

(١) المصدر نفسه، ص٢١.
(٢) شوموفسكي، الترجمة الشعرية لمعاني القرآن الكريم، ص ١٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.
(٤)المصدر نفسه، ص٢٠.

وأقول: إن ترجمة معاني القرآن لكراتشكوفسكي وضعت بداية عصر جديد في الاستعراب الروسي، فقد قام كراتشكوفسكي بترجمة دقيقة لمعظم الآيات القرآنية، ويمكنني تأكيد القول بأن كلَّ مَنْ تبعه في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية كان عالة على ترجمته.

موقف الاستعراب الروسي من الإسلام

ومن الجدير بالذكر أن الاستعراب الروسي عانى في ذلك الوقت أزمةً فكريةً عميقةً، وكانت معظم الكتب المتحدثة عن الإسلام في العهد الشيوعي بعيدة عن الأمانة العلمية، مليئة بالأخبار الكاذبة والافتراضات الباطلة. فقد ادعى المستعرب موروزوف في كتابه «المسيح السادس» (موسكو – لينينغراد، ١٩٣٠م) مثلاً أن القرآن ظهر في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي وسُجل في القرن الرابع عشر الميلادي أثناء حكم السلطان عثمان الأول، كما وافترض المستعرب الشهير بيلايف في كتابه «محاضرات في تاريخ العرب» (موسكو، ١٩٣٧م) أن القرآن وضعه جماعة من الناس.

ومن بين كتب المستشرقين السوفييت المتقدمين تميزت بحوث بعض المستعربين، الذين درسوا بعض المراجع الإسلامية، واتبعوا مناهج العلماء الغربيين نحو القرآن، منهم أغناطيوس كراتشكوفسكي، وكسينيا كاشتاليوفا «حول مصطلح أطاع في القرآن» ضمن محاضرات أكاديمية العلوم في الاستشراق، (١٩٢٦م)؛ و«حول مصطلحَي أناب وأسلم في القرآن» ضمن محاضرات أكاديمية العلوم في الاستشراق، (١٩٢٦م)، و«حول ترجمة الآيتين (٧٧) و(٧٨) من سورة الحج» ضمن محاضرات أكاديمية العلوم في الاستشراق، (١٩٢٧م)، و«حول ترتيب زمني لسور الأنفال والنور ومحمد»ضمن محاضرات أكاديمية العلوم في الاستشراق، (١٩٢٧م)، و«حول مصطلح شَهِدَ في القرآن» ضمن محاضرات

أكاديمية العلوم في الاستشراق، (١٩٢٧م)؛ و«حول مصطلح حنيف في القرآن» ضمن محاضرات أكاديمية العلوم في الاستشراق، ١٩٢٨م). وفينّيكوف في «أسطورة رسالة محمد في ضوء علم الإثنوغرافيا، إهداء لسيرغي فيودوروفيتش أولدنبورغ في ذكرى مرور (٥٠) عاماً على بداية نشاطه العلمي والاجتماعي (١٨٨٢-١٩٣٢م)»، (لينينغراد، ١٩٣٤م)، وبارتولد في « القرآن والبحر» كتابات مجموعة المستشرقين، (١٩٢٥م).

ولم يدرس المستعرب الشهير فاسيلي بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠م) القرآن الكريم إلا في كتابه «القرآن والبحر»، الذي يزعم فيه أن عقيدة التوحيد في الإسلام تأثرت بالتوحيد المسيحي أكثر من تأثرها بالتوحيد في اليهودية، واستدل على ذلك بوصف البحر والعواصف في القرآن. وحسب قول المستعرب فإن النبي محمداً لم يعرف عن تلك العواصف إلا عن طريق الملاحين الأحباش الذين كانوا من المسيحيين.

ولم يكن المستشرقون الروس يعتمدون على كتب الأحاديث والسير والتاريخ الإسلامي إلا إذا كانت الأخبار توافق أهواءهم، وادَّعوا عدم صحة المراجع الإسلامية بلا دليل ولا برهان. وقال المستعرب الشهير بارتولد: «إن العلم قد أثبت عدم صحة كتب الأحاديث كمصادر تاريخية ، وتبعتها كتب السيرة...، ولتثبيت الوقائع من سيرة محمد، ينبغي ألا يكثر الباحث الرجوع إلى الروايات، ويكتفي ببعض المقاطع القرآنية التي هي واضحة بدون تفسير، أما الآثار الواردة عن حياة العرب في القرن السادس فقليلة العدد»[1].

وزعم المستعرب بيلايف أحد تلاميذ الأكاديمي كراتشكوفسكي في كتابه «العرب والإسلام والخلافة العربية في بداية العصور الوسطى» أن العلم المعاصر

(١) بارتولد، مجموعة المؤلفات، ٨٢/٦.

يجهل زمن كتابة القرآن ومصادره؛ وقال: «من الصعب تحديد زمن كتابة القرآن ومصادره، وعلى العلماء حل هذه المسألة، وما دامت هذه القضية معلقة فنعدُّ القرآن أثراً أدبياً، ومصدراً تاريخياً لعهد ظهـــور الإسلام» (١).

وكانت كتب المستعربين المصنّفة بعد الحرب العالمية الثانية تطبع بأعداد محدودة، كما كانت تهتم بمسائل متباينة، ولا تعطي فكرة شاملة عن القرآن الكريم. وتدل المقارنة بين بحوث المستشرقين في روسيا وبين الغرب على أن دراسة علوم القرآن في روسيا اقتصرت على اقتباس آراء الغربيين والتأثر بهم، وقد عَرَّف أحد الباحثين تلك النـــزعات بثقافة التقليد (٢).

وقال المؤرخ بولشاكوف في كتابه «تاريخ الخلافة»: «وللأسف فإن دراسة العلوم الإسلامية في بلادنا كادت تتوقف خلال ثلاثين عاماً بعدما نشطت في العشرينيات – يعني من القرن العشرين الميلادي – واستُبْدِلت بالدراسات العلمية النظرياتُ السوقية المخالفة للعلم التي تختص بعلم الاجتماع وانتقادات الإسلام. وأعلن المستشرقون محمداً شخصيةً خرافيةً تبسيطاً لوظائفهم، وعدُّوا القرآن كتاباً مزيفاً في القرون المتأخرة لا مصدراً تاريخياً، وأصداء هذه النظريات قد توجد في بعض الكتب المصنفة في الستينيات والسبعينيات» (٣).

ومن تلك البحوث المشحونة بالعداء للإسلام: كتاب «القرآن وعقائده» (ألما أتا، ١٩٥٨م) و«كتاب عن القرآن ومنشئه وأساطيره» (موسكو، ١٩٨٦م) لكليموفيتش، و«كتاب عن القرآن» للمستعربين آفكسينتيوف ومافمونتوف (ستافروبول، ١٩٧٩م)، وكتاب «أساطير القرآن وأصولها الدنيوية» لجبّاروف (طشقند، ١٩٩٠م).

---

(١) بيلايف، العرب والإسلام والخلافة العربية في بداية العصور الوسطى، ص ٨٦.

(٢) ريزفان، القرآن وحضارة الجاهلية: قضية منهج الدراسة، في كتاب الإســـلام: دين ومجتمع ودولـــة، ص ٤٦.

(٣) بولشاكوف، تاريخ الخلافة (الجزء الأول): الإسلام في جزيرة العرب (٥٧٠-٦٣٣م)، ص ٩.

واهتمت فئة قليلة من المستشرقين بدراسة لغة القرآن وغرائبه وأمثاله، منهم بيتسي شيدفار صاحبة كتاب «النظام الاستعاري في الأدب العربي الكلاسيكي في الفترة من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر الميلادي» ولها ترجمة معاني القرآن، وتتميز بالبلاغة والفصاحة، وفيها أخطاء كثيرة. ويدل استقراء هذه الترجمة على أن صاحبتها لم تلتفت إلى كتب التفسير في كثير من الأحيان، ووقفت من القرآن الكريم موقفها من أي كتاب أدبي. ولم تطبع ترجمتها لمعاني كتاب الله إلا بعد موتها عام (٢٠٠٣م)، وذلك بجهود السيد أسلم بك إيجايوف مدير دار الأمة للنشر في موسكو.

وفي بداية الثمانينيَّات جعلت الحوادث السياسية كالثورة الإسلامية في إيران، واعتداء الجيش السوفيتي على أفغانستان، ودور الدول الإسلامية في السياسة العالمية، رجالَ الكرملين يغيِّرون موقفهم من الاستعراب، ودراسة علوم القرآن على المستوى الرسمي. وفي ذلك الوقت ظهرت الكتب والبحوث لجيل جديد من المستعربين؛ فقد اشتملت على الدراسات الفكرية والأدبية والثقافية والتاريخية المتنوعة؛ ليتمكن المتخصصون من فهم الحضارة الإسلامية والعربية.

ومن تلك البحوث مقالة «تطور الوعي التاريخي لدي العرب في فترة من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي» لصاحبها جريزنيفيتش في كتاب «نبذ من تاريخ الحضارة العربية من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي» (موسكو، ١٩٨٢م)، وكتاب «قصص القرآن» للمستعرب الشهير بِيُوتْروفْسكي (موسكو، ١٩٩١م)، ومقالتا «القرآن وعلومه»ضمن كتاب «مقالات في علم تدوين التاريخ» (موسكو، ١٩٩١م) و«النبوة والإلهام الديني في الإسلام» حول قضية التفسير العلمي لظاهرة نبوة محمد ضمن كتاب «العقائد التقليدية للشعوب الواقعة في الشرق الأدنى» (موسكو، ١٩٩٢م) وكتاب «القرآن وتفسيره»

(بطرسبورغ، ٢٠٠٠م) ورسالة «تاريخ القرآن ودراسته» ضمن كتاب «ترجمة معاني القرآن» لبوغوسلافسكي، (بطرسبورغ، ١٩٩٥م) كلها ليفيم ريزفان.

ويرى المستشرقون الروس المعاصرون أن نصوص القرآن مبهمة ليست واضحة إلا لمن عرف قصصه وتاريخه. ويقول بيوتروفسكي في كتابه «قصص القرآن»: «إن القرآن لـــه صلات واتصالات بقلب الحضارة العربية الإسلامية، ومن لا يَعش في هذه الحضارة لا يقدر أن يفهم القرآن، حتى بمساعدة عدد من الترجمات المتعددة اللغات، وقد حاولت في هذا الكتاب إعادة بناء الأخبار التاريخية عند العرب في وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا شيء مهم لتقديمه للقراء والمثقفين في روسيا».

والذي يمكن أن أضيفه بهذا الصدد أن للاستعراب الروسي المتأخر اتجاهين:

أولهما: الاتجاه الأكاديمي الذي يمثله معهد الاستشراق في بطرسبورغ؛ فما زال العلماء في بطرسبورغ يحققون المخطوطات، ويترجمون الكتب المتنوعة، ويصنفون الدراسات المختلفة التي تُظْهر وجوه الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً.

والثاني: الاتجاه السياسي الذي كثر أتباعه في معهد الاستشراق في موسكو.

ترجمات معاني القرآن إلى اللغة الروسية أواخر القرن العشرين

واختصت أواخر الثمانينيَّات بنشاط في ميدان ترجمة معاني القرآن. وفي عام (١٩٨٧م) طبعت ترجمة معاني القرآن المأخوذة عن الترجمة الإنجليزية لشير علي أحد أتباع الطائفة القاديانية، وقامت الطائفة بنشر هذا الكتاب في لندن، ولم يُذْكر فيه اسم المترجم، وممَّن حرر هذه الترجمة د. صابر أدين صديق من الهند، وكليم حوار من باكستان وغيرهما.

وفي سنة (١٩٩٥م) ظهرت ترجمة شعرية لمعاني القرآن الكريم لأستاذ التاريخ المشهور ثيودور شوموفسكي، وقال في مقدمته: «لا يمكن عَدُّ هذه الترجمة ترجمة

حرفية للقرآن الكريم؛ لعدم إمكان المحافظة على القافية مع الترجمة الحرفية[1]».

وقد قال المترجم الروسي المشهور لازينسكي: «إن الترجمة الحرفية مع المحافظة على القافية أو الأسلوب الأدبي المتبع فيها هو مثل رسم مربع دائري، وهذا غير ممكن، لكني بينت كل معنى قرآني موجود بدقة ووضوح، معتمداً على ثراء اللغة الروسية» [2].

ومع الأسف فلم يستطع المترجم بلوغ هذا الهدف، واحتوت ترجمته على عدد كبير من الأخطاء؛ لجهله بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والأحكام الشرعية.

وفي الوقت نفسه ظهرت ترجمة مفسرة لمعاني القرآن بطريقة السجع قامت بها فاليريا بروخوفا، وقد امتازت ترجمتها عن ترجمة كراتشكوفسكي بلغتها السليمة الصحيحة، وقد اعتمدت المترجمة في عملها على تفاسير الطبري وابن كثير وسيد قطب والترجمة الإنجليزية التي قام بها عبد الله يوسف علي. وفرح المسلمون -الذين خاب ظنهم في ترجمة معاني القرآن لكراتشكوفسكي- فرحاً عظيماً بظهور هذه الترجمة، ولكن فرحتهم لم تدم طويلاً.

وقد أبعدتها الرغبة في الحصول على أسلوب جميل من الوصول إلى تفسير دقيق لبعض الآيات القرآنية، وأوقعت المترجمة في كثير من الأخطاء العقدية والشرعية، بل سمحت لنفسها بتفسير بعض الآيات على نحو مغاير ومتعارض مع أقوال السلف الصالح، وقد استمالت القراء إلى بعض معتقداتها الباطلة. ونظر القارئ الروسي العامي الذي لا يعرف اللغة العربية والأحكام الشرعية إلى هذه الترجمة نظرة إيجابية، ولكن الأخطاء الفاحشة التي وقعت فيها المترجمة تمنع من عَدِّ عملها موافقاً لمطالب المسلمين في روسيا.

---

(١) شوموفسكي، الترجمة الشعرية لمعاني القرآن الكريم، ص ١٨.

(٢) شوموفسكي، الترجمة الشعرية لمعاني القرآن الكريم، ص ١٨.

وانتقد العلماء المسلمون منهج بوروخوفا في ترجمتها انتقاداً قاسياً، وشهدوا بأنها لا تعرف اللغة العربية، ولا علوم القرآن، ولا فن الترجمة، وأنكر أعضاء اتحاد علماء المسلمين التابع لمجلس مفتي روسيا هذه الترجمة، ولم يوصوا بقراءتها[1].

وتأثرت بوروخوفا بكتب الفيلسوف النصراني فلاديمير سلافيوف، وقلّدته في أقواله، ومنها: أن أهل الكتاب غير ملزمين بقبول الإسلام، وأن تطبيق شرائعهم كافٍ لدخولهم الجنة، وأن نعيم الجنة للروح فقط دون البدن. فهذه العقائد الباطلة وغيرها نجدها في ترجمتها لمعاني القرآن الكريم وحواشيها التفسيرية، وهي لا تزال تدعو إليها[2].

ونُشرت بعض الفصول من ترجمة بوروخوفا لأول مرة في مجلة العلم والدين الأعداد ٧-٩، ١١، ١٢، عام (١٩٨٩م)، وفي حولية الأديان العالمية: تاريخ وحاضر، عام (١٩٨٨م) (موسكو، ١٩٩٠م). وما زالت مجلة (العلم والدين) تنشر فصولاً من ترجمتها حتى عام (١٩٩٢م). ولم تطبع ترجمة بوروخوفا بصورة كاملة إلا سنة (١٩٩٥م)، وتكررت طباعتها سبع مرات بعد تحرير يسير .

وفي أوائل التسعينيات ظهرت ترجمة معاني القرآن للأستاذ عثمانوف، وقد قام بمساعدته مجموعة من أحد عشر مستشرقاً، وشرعوا في عملهم في منتصف الثمانينيَّات باقتراح مدير معهد الاستشراق بأكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي يوجيني بريماكوف. وقام عثمانوف بدراسة نقائص كل الترجمات السابقة ومميزاتها، واستطاع الحصول على الأسلوب الأمثل لترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية. واستخدم المترجم تفاسير الطبري والبيضاوي والقرطبي وابن كثير والرازي،

(١) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٤٥٠.

(٢) انظر البحث للمؤلف في موضوع الأخطاء العقدية في ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية، والذي طبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة سنة ١٤٢٣هـ.

وحلل أكثر من عشر ترجمات مختلفة للقرآن إلى اللغات الإنجليزية والروسية والألمانية والفرنسية والفارسية. وازدانت ترجمته بتعليقات مفيدة اعتمدت على أقوال السلف الصالح، مما ميزها عن تعليقات بروخوفا التي اعتمدت في تفسير كثير من الآيات القرآنية على فهمها وتصورها.

لكن على الرغم من كل ذلك لم يستطع عثمانوف تجنب الوقوع في الأخطاء العقدية والشرعية، فقد درس باهتمام ترجمة كراتشكوفسكي، لكنه كرر أخطاءه أحياناً، وأحياناً أخرى ارتكبها دون سبب مفهوم، واعترض على معاني كلمات صحيحة وردت في ترجمة كراتشكوفسكي. ومع كل ما قيل عن ترجمة عثمانوف فإنها تُعَدُّ من أصح الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية.

ونشرت ترجمة عثمانوف لأول مرة في مجلة (بامير) خلال حولين تقريباً (الأعداد ٣-١٢ عام ١٩٩٠م، و١-١٢ عام ١٩٩١م). ونشرت الطبعة الثانية المنقحة لهذه الترجمة بعدما حررها أوشاكوف عام (١٩٩٩م)، وأعد الأستاذ عثمانوف طبعة ثالثة، ولم تنشر بعد.

وفي سنة (١٩٩٩م) ظهرت ترجمة جديدة للمؤلِّفَين عبد السلام المنسي وسمية العفيفي، وكانت هذه الترجمة مطابقة لترجمة كراتشكوفسكي، ولكن زيدت بالتعليقات والتفاسير، وتميزت هذه التفاسير عما سبقها بأنها لم تحتوِ على أقوال العلماء المتقدمين، وقد اقتصر المؤلفان على تفاسير: سيد قطب والمودودي، وترجمات الصديقي والدريابادي وعبد الله يوسف علي، ونحوهم.

والعيوب الأدبية واضحة في هذه الترجمة؛ لمطابقتها لترجمة كراتشكوفسكي التي لم تحظ بتحرير علمي وأدبي، ولكن بعض هذه العيوب خَفَّفت منها التعليقات الجيدة المفيدة. ومن أهم السلبيات التي احتوت عليها هذه الترجمة المطبوعة في عشرة مجلدات (مونيخ، ١٩٩٩م) بعض المعتقدات الباطلة المخالفة للعقيدة

السلفية الصحيحة، وتضليل القراء ؛ مما جعل من هذه الترجمة خطراً كبيراً على عوام المسلمين ممن لا علم عندهم بعقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي أواخر التسعينيات ظهرت ترجمة معاني القرآن لصاحبها ألكسندر ساديتسكي، وقد نشرت في الولايات المتحدة بمركز الطائفة القاديانية من مدينة لاهور عام (١٩٩٧م)، وفي سنة (٢٠٠٠م) طبعت دار الديالوج السلافي للنشر ترجمة أخرى للمستعرب الروسي عالم غافوروف، ولم تنتشر هاتان الترجمتان انتشاراً واسعاً، ولم تجدا قبولاً عند العلماء المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن الأمة الإسلامية في روسيا أنكرت على عالم غافوروف وترجمته؛ إذ سخر من الإسلام والمسلمين أكثر من مرة في مقالاته وخطاباته، منها خطابه في المحكمة في مدينة موسكو في ٢٨ مايو (أيار) (٢٠٠٤م)، ورسالته إلى جريدة إيزفيستيا في موسكو المؤرخة في ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) (٢٠٠٤م)[١]. وقد اتهم المستعرب الإسلام بسفك الدماء، وبالإفساد في الأرض؛ مستتراً بأنه ولد في طاجيكستان البلد المسلم وترجم معاني القرآن، وأن حقائق العالم الإسلامي ليست غريبة عليه. وقال غافوروف: إن الإسلام دين الإرهاب والتخلف، ووصف المسلمات المحجبات بالمسكينات المستغفلات، ودعا إلى تحجيم الدعوة للإسلام، ونادى بدعم «دولة إسرائيل»[٢] التي هي – حسب قوله – في الخط الأمامي المدافع عن الحضارة العالمية ضد الإسلام. فهذا الكلام

---

(١) بعنوان: «إني أعرف ما الإسلام»؟ من موقع جريدة إزفيستيا
http://izvestia.ru/club/article25360

(٢) إن تسمية دولة اليهود التي قامت على أرض فلسطين في سنة ١٩٤٨م "بدولة إسرائيل" يخالف الواقع والتاريخ، فإسرائيل هو نبي الله الكريم ابن الكريم يعقوب عليه السلام، ونسبة هؤلاء إليه نسبة زائفة ، فإسرائيل أبعد الناس عن الإجرام وتقتيل المسلمين وتهجيرهم، واغتصاب أراضيهم، كما أن نسبتهم إليه يعني ــ زوراً ــ أن أعمالهم مبنية على تعاليمه وهذا ظلم لنبي الله، فالتسمية الصحيحة لهذا الكيان الغريب إنما هو دولة اليهود.

الذي أطلقه عالم غافوروف مناقض لأصول الإسلام وتشريعاته؛ ولذلك لانوصي الناطقين باللغة الروسية بقراءة ترجمته لمعاني كتاب الله عز وجل.

وفي عام (٢٠٠٣م) نشرت ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية للأديب الأذربيجاني جينكيز حسينوف، والتي عكف عليها ستة أعوام. وأثار كتابه المطبوع في (٥٠٠) صفحة : «السور القرآنية المرتبة حسب نزولها إلى النبي صلى الله عليه وسلم» جدلاً حاداً بين المتخصصين. وادعى صاحب الترجمة أنها مأخوذة من الترجمة التركية لمعاني القرآن، ومن اللهجة الأوغوزية لابن حسن. واعترض عليه العلماء بأن تلك الترجمة الأوغوزية معدومة، وأن ابن حسن هو جينكيز حسينوف نفسه. ويدل على ذلك ما قاله المترجم في حديثه لصحيفة «المستقلة»: إني لا أعرف اللغة العربية، ولهذا السبب قد درست الترجمات الروسية والتركية والأذربيجانية، ولم أكن أتصور أنها يختلف بعضها عن بعض إلى هذا الحد[٣٩].

ثم ذكر أنه قرر القيام بترجمة معاني القرآن أثناء كتابته لرواية عن السيرة النبوية، عنوانها: «حتى لا يسيل الماء من الدورق»، وقال: «قد واجهت عقبات عندما احتجت إلى الاستشهاد بالقرآن أثناء كتابة هذه الرواية؛ وذلك لأن نص القرآن المتفق عليه رتب ترتيباً خاطئاً. ومن المعلوم أن حفاظ القرآن اجتمعوا وسجلوه على أساس المصاحف الموجودة لديهم. واعتمد هؤلاء على المنطق الدنيوي؛ فقدَّموا السور التشريعية، مع أن سور القرآن نزلت على ترتيب آخر؛ فأردت أن أرتبها ترتيباً أصلياً وأترجمها إلى اللغة الروسية من جديد».

وفي سنة (٢٠٠٤م) نشر الوقف الديني في تركيا ترجمة كاملة لمعاني القرآن، والتي قام بها قَرَى أوغلو. وتلك الترجمة المطبوعة في أنقرة بكمية محدودة هي آخر

(٣٩) الجريدة المستقلة: الأديان، يوم ٢٠ أغسطس عام ٢٠٠٣م

الترجمات حتى يومنا هذا. وبسبب عدم انتشارها في روسيا لم يصرح العلماء بموقفهم منها، ولنا أن نقول إن ترجمة قَرَى أوغلو قيمة ومستقيمة، ونعدها من أصح الترجمات لمعاني القرآن الموجودة باللغة الروسية، مع أن صاحبها لا يميز بين الكلمات التي تختلف معانيها اختلافاً بسيطاً، ولايعتني بالقواعد النحوية في بعض الأحيان. وقد وقع المترجم في أخطاء تدل على عدم معرفته بجزئيات فن الترجمة. ومن إيجابيات تلك الترجمة أن صاحبها يلتزم النص العربي بدقة، ويقدّر الكلمات المحذوفة بالرجوع إلى التفاسير المعتمدة.

ومن ترجمات معاني القرآن إلى اللغة الروسية التي قدَّرها العلماء المسلمون تقديراً عالياً ترجمة صاحب هذا البحث، وأرجو أن تكون هذه الترجمة المطبوعة بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية عام (١٤٢٢م) مطابقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وسليمة من الأخطاء العقدية والشرعية. وقد بدأت العمل فى هذه الترجمة بطلب الشيخ محمد سهيل الشمري حفظه الله تعالى أثناء ترجمة كتاب «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وذلك عام (١٩٩٨م). وبعدما أنهيت ترجمة معاني القرآن جمعت تفسيراً لبعض آياته، ملتزماً إيراد الأحاديث الصحيحة، وأقوال المفسرين في أسباب النزول، ومعاني الآيات.

ومن مميزات هذه الترجمة أنني اعتنيت- بتوفيق الله- بالعقيدة الصحيحة؛ ولاسيما في باب أسماء الله وصفاته؛ لأنها العقيدة التي أومن بها، والتي هداني الله إليها، ثم بالرجوع إلى التفاسير المعتمدة، لأبي جعفر الطبري والقرطبي وابن كثير والشوكاني والسعدي والشنقيطي وغيرهم من أئمة المسلمين، وقَدَّمْتُ عدة أوجه في الترجمة لبعض الآيات التي لها أكثر من معنى صحيح، وأوليت عنايتي الكلمات التي تحمل عدة معان، وميزت بين الكلمات المختلفة من حيث البلاغة،

وراعيت الأساليب البيانية والبلاغية كالتوكيد والكناية وغيرها، إلخ.

وحرر هذه الترجمة جماعة من العلماء وطلبة العلم، منهم الشيخ الدكتور سليم الزهارنة، والأخ عادل قاسم، والأخ علي خان موساييف، والأخ عبد الرؤوف عباس كولييف وغيرهم. وأثنى عليها كل من الشيخ رافيل عين الدين رئيس شورى مفتي روسيا، والشيخ مراد مورتازين رئيس الجامعة الإسلامية بموسكو، والأستاذ الدكتور رافق علييف رئيس اللجنة الحكومية لجمهورية أذربيجان المختصة بالعمل مع المنظمات الدينية.

وقال الشيخ رافيل عين الدين في مقدمته لهذه الترجمة (موسكو، ٢٠٠٤م): «إن مجلس شورى مفتي روسيا، درس ترجمة إلمير كولييف لمعاني القرآن الكريم، ويرى أن هذه الترجمة هي مرحلة جديدة في سبيل فهم كلام الله المنـــزل بلسان عربي مبين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف يستفيد منها عشرون مليون مسلم في روسيا، وتحتل أهمية خاصة؛ لَمَّا كان صاحبها يرجع إلى التفاسير القديمة والحديثة، وإلى الترجمات الشرقية والأوروبية».

وأعادت جماعة من طلبة العلم تحرير هذه الترجمة بعد نشرها، وأخذتُ ملاحظاتهم بعين الاعتبار لطبعة قادمة منقحة ومزيدة، وتمتاز هذه الترجمة الجديدة – إن شاء الله – بفصاحة اللغة ودقة التعبير وتعدُّد الشروح.

ولصاحب هذه الترجمة دراسة في علوم القرآن بعنوان «الطريق إلى القرآن». وأرجو أن يكون هذا الكتاب من الكتب المفيدة التي تعطي القارئ الروسي فكرة عامة عن الكتب المنـــزلة، وفوائد الإيمان بها، ومكانة السنة النبوية ومنـــزلتها من القرآن، وأسباب النـــزول وتاريخ جمع القرآن وترتيبه، والحروف السبعة التي أنزل بها القرآن والفرق بينها وبين القراءات، وأنواع التفاسير، وميزات ترجمات كتاب الله المتوافرة باللغة الروسية، وفضل تلاوة القرآن وحفظه، إلخ.

ومن الجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة طبعت عدة كتب ورسائل باللغة الروسية حول القرآن الكريم لكُتَّاب مسلمين ، ولكنها تتميز بأسلوب دعوي بسيط يختلف عن الكتب العلمية، ولا تزيل عن كتاب الله شبهات المستعربين.

ومن أنفع الكتب في علوم القرآن الكريم، التي أعدَّها أتباع مدرسة الاستشراق في روسيا، ترجمة كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للعلامة جلال الدين السيوطي، والتي قام بها وعلق عليها فرولوف. ولم يصدر منه حتى هذا اليوم إلا ثلاثة أجزاء، تحتوي على عدة فصول من الكتاب المذكور (موسكو، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٣م). ولأهمية هذه الترجمة أوصى مجلس شورى مفتي روسيا بتدريسها في المدارس الدينية الإسلامية. ومن عيوب هذه الترجمة كثرة المصطلحات الغريبة للقارئ الروسي؛ مما يجعل عامة الناس لا ينتفعون منها كثيراً.

وإلى جانب الترجمات التامة لمعاني القرآن هناك ترجمات لمعاني بعض السور والأجزاء من كتاب الله عز وجل. ففي عام (١٩٠٢م) ظهر كتاب «محاضرات عن القرآن» لكريمسكي، والذي يحتوي على ترجمة وتفسير لثمان وعشرين سورة رتبها المستشرق حسب ترتيب نولدكه[١].

ونشرت مجلة «خزر» في باكو (العدد ١، ١٩٨٩م) ترجمة مفسرة لمعاني سورة الفاتحة، وأوائل سورة البقرة للكاتب الأذربيجاني أغايوف، كما طبعت «دار العالم الآخر للنشر» ترجمة مفسرة لمعاني سبع وعشرين سورة من القرآن لصاحبتها ليلى موساوي (موسكو، ١٩٩٨م).

وفي عام (٢٠٠٤م) ظهرت ترجمة شعرية لمعاني سبع سور من أوسط المفصل وقصيره للمهندس الأذربيجاني إنار جاجيوف، وقامت بنشرها «مجلة اللمة الشرقية» في موسكو (العدد ٢ (١٧)، ٢٠٠٤م). وحسب قول المترجم إنه

(١) الجريدة المستقلة: الأديان، يوم ٢٠ أغسطس عام ٢٠٠٣م

شرع يفسر القرآن بطريقة شعرية ليحصل على معان صحيحة تطابق ما ورد في التفاسير المعتمدة، وتُظْهر قدسية القرآن الكريم. ويرى جاجيوف أن تغيير أسماء الأنبياء الواردة في القرآن إلى أسمائهم في الكتاب المقدس لليهود والنصارى يعري ترجمة معاني القرآن عن روح الأدب العربي، ويوهم القارئ بأن الكتاب المقدس مصدر القرآن [1].

وفي عام (١٩٩٨م) نشر مجلس شورى مفتي روسيا ترجمة معاني سبع سور من القرآن للمستعرب المشهور أوشاكوف المولود عام (١٩٣٠م). ولصاحب هذه الترجمة أكثر من (٧٠) بحثاً ومقالة، منها كتاب «العبارات الاصطلاحية في القرآن: مقارنة بين القرآن وبين اللغة العربية الكلاسيكية» (موسكو، ١٩٩٦م). وفسر المترجم معاني الآيات بطريقة مسجعة؛ ابتغاء الأسلوب الأمثل، ولا يزال يترجم السور حتى يومنا هذا.

وفي الفترة ما بين (٢٠٠٠-٢٠٠٢م) نشرت «مجلة الشرق» فصولاً من ترجمته تحتوي على معاني سور طه والأنبياء والحج.

وقد تُرجمت بعض السور في ضمن كتب التفسير وغيرها من المصنفات المترجمة إلى اللغة الروسية، ولا تتسع هذه الصفحات لذكر كل من كان يترجم معاني الآيات القرآنية ويفسرها باللغة الروسية، ولذا نكتفي بما قيل في هذا الفصل، والله الموفق.

وكما يتضح مما ذكرنا فإن العلماء المسلمين والمستعربين اعتنوا بالقرآن وعلومه في السنوات الأخيرة اعتناءً كبيراً. وإلى هذا أشار يفيم ريزفان بقوله: «ولا يزال القرآن يُدرَّس - يعني في روسيا - دراسة علمية، وثمة عناية بنشر الكتب التثقيفية الموافقة للأساليب العصرية. ومن الوظائف الأولوية لمدرسة الاستشراق

(١) مجلة اللمة الشرقية، العدد ٢ (١٧)، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

في روسيا تحقيق خطة أغناطيوس كراتشكوفسكي، وهي إعداد ترجمة أكاديمية صحيحة من الناحية اللغوية ومناسبة من الناحية البلاغية ومصحوبة بشرح شامل وفهرس، ولا يقدر عليها في الظروف الحالية إلا جماعة من المتخصصين. ومن الضروري أن تضع في أساس هذا العمل دراسات لهجات القبائل العربية، ولغة القرآن ونظمه، وأن يستخدم في هذه الدراسات المناهج المعاصرة. ومن المهم دراسة تاريخ الحضارة في جنوب جزيرة العرب وبلاد الأنباط، والتعايش الثقافي (cultural symbiosis) في المدن وسط الجزيرة، والتي كان أهلها غير متجانسين»[1].

وخلاصة القول: إن معظم الدراسات في علوم القرآن الكريم في روسيا حالياً متأثرة إلى حد بعيد بتقاليد مدرسة الاستشراق. وهذا من أسباب عدم ظهور دراسات العلماء المسلمين أمام كتب المستشرقين المشهورين ومناقشاتهم أمثال ستانيسلاف بروزوروف، ويفيم ريزفان، ومحمد نوري عثمانوف، وتوفيق إبراهيم[2]. ومع ذلك فإن نشر ترجمة معاني القرآن الكريم، والتي قام بها الباحث المسلم الأذربيجاني وراجعها جماعة من العلماء وطلبة العلم، وطبعت بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وظهور ترجمات كتب الأئمة الأعلام مثل الإمام السيوطي يعطي الأمل بأن الثوابت الشرعية سوف تؤثر بشكل فعال في دراسات علوم القرآن الكريم في المستقبل القريب إن شاء الله.

إن النشاط الدعوي التعليمي للعلماء المسلمين يجبر المستشرقين على المزيد من الاهتمام أكثر بكتب الحديث والامتناع ــ ولو أحياناً ــ عن التأويلات

(١) ريزفان، القرآن وعالمه، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) انظر مثلاً: المناظرة بين أ.د. ستانيسلاف بروزوروف وأ.د. توفيق إبراهيم حول ترجمة لفظ الجلالة إلى اللغة الروسية في مجلة المنارة (العدد الأول، مارس ٢٠٠٦، ص: ٨-١٥).

الفاسدة لنصوص القرآن الكريم. ومثال حي لهـــذا إصدار مركز بطرسبـــورغ للاستشراق «كتاب الخراج» للإمام أبي يوسف الكوفي، والذي تمت ترجمته في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي و لم يطبع إلا في عام (٢٠٠١م) ضمن خطة توسيع نشاطات المركز استجابة لتحديات العصر.

إن الحاجة إلى نقض الأفكار المتحاملة المتأثرة بالنصرانية والمؤيَّدة بشُبَه المستشرقين تزداد بزيادة تأثير الإسلام والقرآن الكريم في العقائد والحياة اليومية للشعوب التي كانت تحت الاضطهـــاد الشيوعي خلال سبعين عاماً؛ فقد عُزل الإسلام من الحياة الاجتماعية السياسية وحتى من الناحية الدينية. ومع ذلك ترتبط آفاق تطور علوم القرآن في ظل العقيدة الصحيحة بتقدم التعليم الإسلامي في روسيـــا وسائر جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً ومشاركة الأساتـــذة المتخصصين من جامعات الدول الإسلامية .

فهرس أهم المراجع

أولاً – المراجع باللغة الروسية

• Авксентьев А.В., Мавмонтов Р.Р. Книга о Коране. Ставрополь, 1984

كتاب عن القرآن: لآفكسينتيوف ومافمونتوف، ستافروبول، ١٩٨٤م

• АллахилиБог?ДискуссияС.М. ПрозороваиТ.К. Ибрагима / Минарет. 2006. №1 (8). С. 8–15

حول ترجمة لفظ الجلالة. المناظرة بين بروزوروف وتوفيق إبراهيم، مجلة المنارة، العدد الأول، سنة ٢٠٠٦م

• Бартольд В.В. Сочинения: В 9-и т. М., 1963–1973

مجموعة المؤلفات في تسعة مجلدات: لبارتولد، موسكو، ١٩٦٣–١٩٧٣م

• Беляев Е.А. Арабы, ислам и Арабский халифат в раннее средневековье. М., 1966

العرب والإسلام والخلافة العربية في بداية العصور الوسطى: لبيلايف، موسكو، ١٩٦٦م

• Большаков О.Г. История Халифата. Книга 1. Ислам в Аравии (570–633). М.: Восточная литература, 2000

تاريخ الخلافة. الإسلام في جزيرة العرب (٥٧٠–٦٣٣م): لبولشاكوف، موسكو، ٢٠٠٠م

• Валеев Р.М. Из истории казанского востоковедения середины – второй половины XIX в.: Гордий Семенович Саблуков – тюрколог и исламовед. Казань, 1993

من تاريخ الاستشراق في قازان في الأواسط والأواخر من القرن التاسع عشر: جوردي سيميونوفيتش سابلوكوف، باحث في العلوم التركية والإسلامية: لفالييوف، قازان، ١٩٩٣م

• Ганковский Ю.В. Востоковедение / Большая советская энциклопедия: В 24-х т. Т. V. С. 389–393. М.: Издательство «Советская энциклопедия», 1971

الاستشراق: لغانكوفسكي، في الموسوعة السوفياتية الكبرى في ٢٤ مجلداً، المجلد الخامس، موسكو، ١٩٧١م

• Гафуров А.Г. Я знаю, что такое ислам [http://izvestia.ru/club/article25360]

إني أعرف ما الإسلام؟ لعالم غافوروف، من موقع :
[http://izvestia.ru/club/article25360]

• Грязневич П.А. Коран в России (изучение, переводы и издания) / Ислам: религия, общество и государство. М., 1984

القرآن في روسيا: دراسة وترجمات وطبعات: لجريزنيفيتش، في كتاب الإسلام: دين ومجتمع ودولة، موسكو، ١٩٨٤م

• Грязневич П.А. Проблемы изучения истории возникновения ислама / Ислам: религия, общество и государство. М., 1984

قضايا دراسة تاريخ ظهور الإسلام: لجريزنيفيتش، في كتاب الإسلام: دين ومجتمع ودولة، موسكو، ١٩٨٤م

• Джаббаров С.И. Мифология Корана и ее земные корни. Ташкент, 1990

أساطير القرآن وأصولها الدنيوية: لجبّاروف، طشقند، ١٩٩٠م

• Долинина А.А. Невольник долга. СПб.: Центр «Петербургское востоковедение», 1994

عبد لوظيفته: لدولينينا، مركز بطرسبورغ للاستشراق، بطرسبورغ، ١٩٩٤م

• Ермаков Е. Ислам в русской литературе [http://www.gumer.info/bogoslov_Buks/Islam/Article/_Ermakov_IslLit.php]

الإسلام في الأدب الروسي: ليرماكوف، من موقع:
[http://www.gumer.info/bogoslov_Buks/Islam/Article/_Ermakov_IslLit.php]

• Климович Л.И. Книга о Коране, его происхождении и мифологии, М., 1986

كتاب عن القرآن ومنشئه وأساطيره: لكليموفيتش، موسكو، ١٩٨٦م

• Коран / Пер. с арабского акад. И.Ю. Крачковского. М.: СП ИКПА, 1990

القرآن. ترجمة إلى اللغة الروسية: لكراتشكوفسكي، موسكو، ١٩٩٠م

• Коран. Избранные суры в переводе Э. Гаджиева // Восточная коллекция, 2004, № 2(17)

مختارات من سور القرآن. ترجمة إلى اللغة الروسية: لحاجييف، مجلة اللمة الشرقية، العدد ٢ (١٧)، سنة ٢٠٠٤م

• Коран. Перевод смыслов и комментарии В. Пороховой. Тегеран, 1417 г.х.

القرآن. الترجمة المفسرة والتفسير: لبوروخوفا، طهران، ١٤١٧هـ

• Коран. Священная книга мусульман / Пер. с арабского и вступ. ст. Т. Шумовского. М.: ТЕРРА, 1995

القرآن: الكتاب المقدس لدى المسلمين، ترجمة وتقديم: لشوموفسكي، تيرا، موسكو، ١٩٩٥م

• Крачковский И.Ю. Очерки по истории русской арабистики / Избр. соч.: В 6-и т. Т. V. М.-Л., 1958

مختارات من المصنفات في ستة مجلدات: لكراتشكوفسكي، موسكو-لينينغراد، ١٩٥٥-١٩٦٠م

• Крымский А.Е. История мусульманства. М.: Жуковский: Кучково поле, 2003

تاريخ الإسلام: لكريمسكي، موسكو، ٢٠٠٣م

• Крымский А.Е. Лекции по Корану. Выпуск 1. Суры старейшего периода. Перевод с объяснениями. М., 1902

محاضرات عن القرآن. سور المرحلة الأولى. ترجمة وشرح: لكريمسكي، موسكو، ١٩٠٢م

• Нефедов С.А. Реформы Ивана III и Ивана IV: Османское влияние // Вопросы истории. 2002. № 11 [http://belinka.ur.ru/

elib/Authors/NEFEDOV/Science/Russia/Osman.htm#_edn93]
إصلاحات إيوان الثالث وإيوان الرابع: تأثير الدولة العثمانية: لنيفيودوف، مجلة المسائل التاريخية، العدد الحادي عشر، سنة ٢٠٠٢م، من موقع:
[http://belinka.ur.ru/elib/Authors/NEFEDOV/Science/Russia/Osman.htm#_edn93]

• Пушкин А.С. Собрание сочинений: В 10-и т. М., 1974-1978
مجموعة المؤلفات في عشرة مجلدات، لبوشكين، موسكو، ١٩٧٤-١٩٧٨م

• Резван Е.А. Коран и доисламская культура (проблема методики изучения) / Ислам. Религия, общество, государство. М., 1984
القرآن وحضارة الجاهلية (قضية منهج الدراسة): لريزفان، في كتاب الإسلام: دين ومجتمع ودولة، موسكو، ١٩٨٤م

• Резван Е. Коран в России / Ислам на территории бывшей Российской Империи: Энциклопедический словарь. М.: Восточная литература, 2006
القرآن في روسيا: لريزفان، في موسوعة الإسلام في أراضي الإمبراطورية الروسية السابقة، الأدب الشرقي، موسكو، ٢٠٠٦م

• Резван Е. Коран и его мир. СПб.: Петербургское востоковедение, 2001
القرآن وعالمه: لريزفان، مركز بطرسبورغ للاستشراق، بطرسبورغ، ٢٠٠١م

• Резван Е. Коран и его толкования. СПб., 2000
القرآن وتفسيره: لريزفان، بطرسبورغ، ٢٠٠٠م

• Шабуцкий С. Переводчик Корана // Газета «НГ-Религии« от 20 августа 2003 г.
مترجم القرآن: لشابوتسكي، الجريدة المستقلة: الأديان، ٢٠ أغسطس ٢٠٠٣م

• Шидфар Б.Я. Образная система арабской классической литературы (VI-XII вв.). М.: Главная редакция восточной литературы, 1974
النظام الاستعاري في الأدب العربي الكلاسيكي في الفترة من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر الميلادي: لشيدفار، موسكو، ١٩٧٤م

ثانياً – المراجع باللغة العربية

- إضاءات على الاستشراق الروسي: فاطمة عبد الفتاح، من موقع:
http://islamiyatonline.com/Arabic/Report/display.asp?reportid=2726
http://islamiyatonline.com/Arabic/Report/display.asp?reportid=2635

فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ١٢٣
- تمهيد ١٢٤
- دخول الإسلام إلى روسيا ١٢٥
- نشأة الترجمات الروسية لمعاني القرآن الكريم ١٢٨
- اهتمام العلماء المسلمين بدراسة القرآن الكريم ١٤٠
- المسلمون في روسيا بعد الحرب العالمية الأولى ١٤٣
- موقف الاستعراب الروسي من الإسلام ١٤٧
- ترجمات معاني القرآن إلى اللغة الروسية أواخر القرن العشرين ١٥١
- فهرس أهم المراجع ١٦٣
- فهرس الموضوعات ١٦٦